رسائل الشيخ

الجزء الاول

من تاليفات

العالم الرباني الحكيم الالهي الفقيه الصديق

مفتاح علوم اهل البيت عليهم السلام

الشيخ الاوحد احمد بن زين الدين الاحسائي

اعلى الله مقامه

المتوفى ١٢٤١ هجرية

نسخة الكترونية

جامع الامام الخياط

رسائل الشيخ

الجزء الأوّل

من تأليفات

العالم الربّاني، الحكيم الألمعي الفقيه الصمداني

مفتاح علوم أهل البيت عليهم السلام

الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي

أعلى الله مقامه

المتوفى ١٢٤١ هجريّة

لجنة النشر والتوزيع

جامع الإمام الصادق عليه السلام

حوزة النور والبنون

أمير المؤمنين ع و الزهراء س

لنشر معارف أهل البيت ع والثقافة الدينية

١٤١٧ هـ

الرسالة الأولى

معنى قول النبي الأعظم
صلى الله عليه وآله
من عرف نفسه
فقد عرف ربه

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

ندعو لكل من أعاد طباعة هذا الكتاب ونشره
لأجل إظهار الحق فليس لهذا الكتاب حقوق طبع

الرسالة الأولى

في معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الإحسائي أنه عرض علي جناب الفاضل الأكرم المهدي الأخ الأعز الشيخ محمد مهدي بن ذي الشأن الرفيع الأكرم محمد شفيع الاسترابادي أخذ الله بيده ووفقه للصالحات في يومه لغده بمسألة عزيزة المنال قد كثر فيها القيل والقال ولم تزل مع تلك الحال متصعبة على أفهام فحول الرجال ، وقد طلب مني بيانها وإزالة ما فيها من الإشكال على وجه يحصل به اليقين من غير احتمال ، وقد صادف سؤاله أيده الله مني حالة ملال وتشويش بال وكثرة اشتغال بكثرة الأعراض وملازمة الأمراض ، ولم يسعني

الاعتذار منه لكونه أهلا لذلك ، فأتيت بما حضرني من المقدور إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور ، وهي قوله سلمه الله نلتمس منكم شرح الحديث المشهور ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))[1] من غير إيجاز إما بطريق الإطناب ولو انجر إلى كتاب أو المساواة ويكفيه رسالة .. إلخ .

في معنى النفس

أقول : روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه))[2] ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) وهذا المراد من الروايتين لا يكاد يختلف فيه اثنان من الحكماء المتقدمين والمتأخرين والعلماء أجمعين ، والكتاب والسنة والعقل شاهدة بهذا المعنى ، وإنما اختلف العلماء في المعنى المراد منه حتى أن منهم من توهم أن المراد بالنفس الرب عز وجل ، ومنهم من جعلها من لوازم الذات الحق فمن عرفها فقد عرف الذات الحق تعالى ، ومنهم من جعلها محلا له تعالى ، ومنهم من جعله محلا لها ، ومنهم من جعلها صورة للحق تعالى ، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة .

---

[1] شرح النهج ٢٠/ ٢٩٢

[2] روضة الواعظين ٢٠

واعلم أن الأقوال الصحيحة والقريبة من الصحيحة منها ظاهري وإقناعي وآثاري ومنها حقيقي ، والحقيقي مختلف ونشير إلى بعض ذلك على جهة التنبيه .

المعنى الظاهري

فنقول أنه قيل أن قوله عليه السلام ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) من باب التعليق على المحال فإن معرفة النفس محال فكذا معرفة كنه ذات الحق عز وجل ، ويرد على ذلك حال الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام في المعرفة فإنهم يعرفون أنفسهم ، وقد دل مفهوم الآية على ذلك وهي قوله تعالى ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[1] ، فقد دل مفهوم الآية والصفة على أن الله سبحانه أشهد الهادين عليهم السلام خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم واتخذهم أعضادا ، يعني أعضادا لخلقه كما ذكره الحجة عليهم السلام في دعاء شهر رجب في قوله ((أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد فبهم ملأت سماءك

---

[1] الكهف ٥١

وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت))[1] ، وكقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[2] فإذا عرفوا أنفسهم عرفوا ربهم ، فأين التعليق على المحال .

وقيل معناه كما نقل عن داود النبي صلوات الله عليه أنه قال ما معناه (من عرف نفسه بالجهل فقد عرف ربه بالعلم ، ومن عرف نفسه بالعجز فقد عرف ربه بالقدرة ، وهكذا) وهذه المعرفة ظاهرها قريب إلى الأفهام وباطنها يطول به الكلام وحاصله يظهر مما يأتي إنشاء الله .

وقيل من عرف نفسه بالحيوانية الحسية الفلكية بأنها ليست في مكان من الجسد ولا يخلو منها مكان منه وليست فيه على جهة الحلول ولا بائنة منه ، بل هي فيه لا كالماء في الكون ولا هي كشيء داخل في شيء كالماء في العود الأخضر ، ولا هي خارجة عنه كشيء خارج ، ولا ممازجة ولا مصاحبة معه بل هي مدبرة للبدن بغير مباشرة ، ولا مشاركة له في شيء من أحوال الأجساد ، فمن عرف نفسه كذلك فقد عرف ربه تعالى بأنه مدبر للعالم وأنه لا يخلو منه مكان ولا يحويه مكان ، داخل لا كشيء

[1] الإقبال ٦٤٦ من دعاء إمامنا الحجة عليه السلام في كل يوم من رجب

[2] فصلت ٥٣

داخل ، خارج لا كشيء خارج ، إلى آخر ما ذكر في صفة النفس ، وهذه معرفة أصحاب الأنظار من المتكلمين .

وقيل معناه من عرف نفسه بأنه مصنوع فقد عرف له صانع ، ومن عرف نفسه بأنه أثر فقد عرف له أن له مؤثرا وهكذا ، وهذه معرفة أهل الآثار .

وقيل معناه من عرف نفسه في قوله روحي وجسدي ويدي ورجلي وعيني ورأسي ووجودي فهذا الذي أضيف إليه هذه الأشياء وما أشبهها هو غيرها ، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ، فمن عرف هذا المعبر عنه بفم المتكلم فقد عرف ربه في قوله تعالى عبدي وأرضي وسمائي وعرشي وبيتي وما أشبه ذلك ، ويريد القائل بالنفس النفس الناطقة التي أصلها العقل منه بدأت وعنه وعت وإليه دلت وأشارت ، وهذه النفس أعني الناطقة في الإنسان الصغير بمنزلة اللوح المحفوظ في الإنسان الكبير ، وحيث ثبت أن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد كانت هذه النفس تدل على وحدانيته عز وجل .

المعنى الحقيقي

واعلم أن هذه الأقوال تدل على المعرفة الظاهرة ، وأما المعرفة الحقيقية فهي معرفة النفس التي هي كنه الشيء من ربه لأنه تعالى لما خلق الإنسان فأول ما كونه فتكون كانت له حقيقة من ربه وحقيقة من نفسه ، فالتي من ربه هو النور المعبر عنه تارة بالماء الذي جعل منه كل شيء حي ، وتارة بالوجود وتارة بالنور ، كما قال عليه السلام ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))[1] ؟، وقال الصادق عليه السلام ((إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته ، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة)) ثم استشهد بكلام جده أمير المؤمنين عليه السلام ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)) ثم قال عليه السلام ((يعني بنوره الذي خلق منه))[2] ، وتارة يعبر عنه بالفؤاد كما قال الصادق عليه السلام ما معناه (وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد أحب ، وإذا أحب لم يؤثر ما سوى الله عليه) ، وتارة يعبر عنه بالمادة الأولى كما هو مبين على طريقتنا إذا قلنا الوجود وأردنا منه الوجود الموصوفي لا الصفتي كالمصدري والرابطي والغائي وما أشبهها فإنا نعني بالوجود الذي هو الذات المادة ، وذلك فإن

[1] الاختصاص ٣٠٦

[2] بحار الأنوار ٦٧/ ٧٥ ح ٦

للإنسان كنهين كنهه من ربه وهو النور الذي هو مادته الأولى ، وكنه من نفسه وهي الظلمة وهي الصورة ، أعني انفعاله وقابليته للوجود وهي المسماة بالماهية ، والكنه الأول هو النفس التي من عرفها فقد عرف ربه ، يعني أن معرفتها عين معرفة الله إلا أن هنا معرفتين معرفة النفس ومعرفة الرب ، لأنه عليه السلام قال ((فقد عرف ربه)) ، وقد للتحقيق وقد دلت على أن المعرفة واحدة بجهته ، وفي بيان هذا الحرف دفع الإشكال المشار إليه سابقا ، والبيان على بيان حقيقة الأمر يتوقف على بيان معرفة حقيقة النفس وعلى بيان كيفية الوصول إلى ذلك .

أما الأول فاعلم أن النفس هي حقيقتك من ربك إذا عرفتها فقد عرفت ربك أنه لما كان لا يعرفه أحد غيره إلا بما وصف به نفسه وأراد بكرمه عليك ورحمته بك أن تعرفه وصف نفسه وألبسه صورة قبوله وأنزله في رتبته من أكوان الإمكان فظهر بإياك فأنت ذلك الوصف بذاتك وحقيقتك التي هي نفسك هي ذلك الوصف ، فإذا كانت نفسك هي وصف الله الذي وصف به نفسه لك وكان من عرف الوصف عرف الموصوف لأن الموصوف لا يعرف إلا بوصفه كنت إذا عرفت

نفسك عرفت ربك ، ومثال حقيقتك التي هي وصف الله نفسه لك به كصورة السراج في المرآة ، فإن الصورة إذا عرفت نفسها التي من جهة السراج وهي مادة الصورة وهي هيئة شعلة السراج ، لأن مادة الصورة هي صفة الشعلة المنفصلة أعني الهيئة التي أشرقت على المرآة لا الهيئة التي قامت بالشعلة قيام عروض لأنها متصلة بها لا تنفصل عنها وإنما ينفصل عنها شبحها وهو الواقع على المرآة وهو حقيقة الصورة من الشعلة ، فالصورة في المرآة إذا عرفت نفسها التي هي هيئة الشعلة عرفت الشعلة التي هي ربها ، وصورة الصورة هي حقيقة الصورة من نفسها التي هي هيئة المرآة من كبر وصغر وبياض وصفاء واستقامة وأضدادها ، فالنار الغائبة في السراج هي آية ذات الله عز وجل ، وحرارتها هي آية المشيئة ، والدهن المستحيل بحرارة النار دخانا هي آية الحقيقة المحمدية ، والدخان المستنير بمس النار الذي حصل منه الشعلة أي من مجموعها هو آية المقامات التي لا فرق بين الله سبحانه وبينها في المعرفة إلا أنها عباده وخلقه وهي العنوان وهي المثال وهي بالنسبة إلى الواجب الحق تعالى كالقائم بالنسبة إلى زيد ، والصورة التي في المرآة إنما تحكي صورة الشعلة القائمة بها لأن الحكاية أصلها الصورة القائمة بالشعلة وهي

الوجه وهي مثال النار وعنوانها ، والصورة في المرآة إنما تعرف أصلها ولا تعرف النار التي هي آية الله وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام ((انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله)) ، وأما صورة الصورة التي هي من هيئة زجاجة المرآة فلا تعرف الصورة بها هيئة الشعلة لأنها ليست صفة لها ، فكذلك نفسك التي هي حقيقتك من ربك تعرف بها ربك لأنها وصفه ، أي وصف الرب الذي هو المثال والعنوان والوجه ، لأن حقيقتك هذه هي الفؤاد وهي نور الله الذي ينظر به المؤمن المتوسم أي صاحب الفراسة ، وهي المسماة بوجودك في اصطلاحهم .

وأما حقيقتك من نفسك التي هي مثالك وهي الظلمة والماهية فلا تعرف بها ربك ، لأنها هي أنت والله سبحانه لا يعرف بك بخلاف حقيقتك من ربك التي هي وصفه الذي وصف به نفسه لك لتعرفه بهذا الوصف فإنه وصف فهواني خاطبك به عز وجل مشافهة حين قال لك في عالم الذر ألست بربك ومحمد نبيك وعلي وليك والأئمة من ولده أئمتك ، فقلت : بلى وقولك بلى هو حقيقتك من نفسك وخطابه تعالى هو الوصف الفهواني الشفاهي على جهة العيان والتصريح في البيان وتمت

كلمته وبلغت حجته ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[1] ، وفي المقام أسرار ودقائق لا تظهر ولا تعلم إلا بالمشافهة .

كيف تعرف نفسك

وأما الثاني وهو بيان كيفية الوصول إلى معرفة ذلك الأنموذج الفهواني والوصف الشفاهي الرباني فقد ورد في حديث كميل حين سأل أمير المؤمنين عن الحقيقة وهي معرفة هذه الحقيقة التي نحن بصدد بيانها بقوله ((ما الحقيقة ، فقال عليه السلام : ما لك والحقيقة يا كميل ، فقال كميل : أو لست صاحب سرك ، قال عليه السلام : بلى ، ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ، قال : أو مثلك يخيب سائلا ، قال عليه السلام : الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة ، قال : زدني بيانا ، قال عليه السلام : محو الموهوم وصحو المعلوم ، قال : زدني بيانا ، قال عليه السلام : هتك الستر وغلبة السر ، قال : زدني بيانا ، قال عليه السلام : جذب الأحدية لصفة التوحيد ، قال : زدني بيانا ، قال : أطفئ السراج فقد طلع الصبح)) .

[1] فصلت ٤٦

كشف سبحات الجلال بغير إشارة

فقوله ((كشف سبحات الجلال بغير إشارة)) قد بين جميع أنحاء التجريد ، والمراد بالسبحات أشعة الجلال وهي الشئون والصفات ، والجلال يراد منه هنا ذات الشخص أعني حقيقته من ربه ، وكيفية تجريد السبحات أن تلقي عن ذاتك في الاعتبار والوجدان جميع شئون ذاتك ، فلا تنظر إلى حركتك أو سكونك أو نومك أو يقظتك أو ضحكك أو بكائك أو كونك في أو على أو من أو في أو أنك أبو فلان أو ابن فلان أو حادث أو قديم أو موجود أو مفقود أو لك اتصال أو انفصال أو اجتماع أو افتراق أو أنك مطابق أو مبائن أو واجد أو فاقد ، وتلقي عنك كل معنى أو صفة أو حال ، سواء كان اعتبارا أو فرضا واحتمالا وتجويزا ذهنا أو خارجا أو نفس الأمر ، فكل ما يصدق عليه أنه شيء بكل اعتبار تلقيه عن النظر إلى نفسك وتسقطه من عين الاعتبار لأنه مغاير لنفسك ، فإذا ضممت شيئا آخر إلى نفسك في معرفتها لم تعرفها وإنما عرفت شيئا بعضه نفسك كما إذا عرفت نفسك بالحدوث فإنك عرفت مركبا وبهذا لا يعرف الله لأنه تعالى ليس بمركب فلا يعرف بمركب ، فلا بد من كشف سبحات الجلال كلها حتى الإشارة كما قال عليه السلام ((من غير

إشارة))، بمعنى أنك تجرد نفسك عن جميع السبحات أي الشئون والنسب والصفات والأفعال والتضايف والأوضاع حتى عن التجريد إلى أن لا يبقى إلا محض الذات، وهو أنموذج وصفي وخطاب فهواني لأنه مثل بكسر الميم وسكون الثاء أي العنوان والمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان وهو مثل ليس كمثله شيء، ولو كانت نفسك بعد التجريد التام حتى عن التجريد لها مثل بكسر الميم وسكون الثاء لما كان معرفتها معرفة الرب عز وجل لأنه تعالى لا يعرف بالمثل وإنما يعرف بأنه لا مثل له فيجب أن تكون الآية الدالة عليه أنها أيضا لا مثل لها.

فإن قلت: نفسي لها مثل وهو نفسك، قلت لك: نعم، ولكن نفسي في كونها مثلا لنفسك ليست هي نفسك بل غيرها، فإذا كانت غير نفسك وجب في تجريد نفسك نفي المغايرة والمماثل حتى لا يبقى إلا محض النفس، وليست المماثلة جزء ماهيتها، فإذا جردتها في الاعتبار والوجدان عن كل مماثل وكل مخالف بقي شيء لا يشبهه شيء، لأن المشابهة ليست جزء لكنهها، فإذا وصلت في تجريدها إلى أن لا يبقى شيء ليس كمثله شيء، فإذا عرفت شيئا ليس كمثله شيء فقد عرفت ربك لأنه تعالى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لأن نفسك

حينئذ آية الله التي ذكرها في كتابه فقال ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] والآية التي أراكها في نفسك إذا كشفت عنها سبحات الجلال فإنها آية الله الدالة عليه وصفته التي من عرفها فقد عرفه، وهي كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)).

والجلال في الحديث بمعنى الحجاب، لأن نفسك أعظم الحجب وأغلظها وباقي الحجب بالنسبة إليه شئونك التي هي السبحات في الحديث، لأنه عز وجل احتجب عنك بك أي احتجب عنك بنفسك مع شئونها وسبحاتها، فإذا ألقيت السبحات رقت نفسك ولطفت فعرفته بها، لأنه تعالى تجلى لها بها كما قال سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام ((لم تحط به الأوهام، بل تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها))[2]، وروي أن نبيا من أنبياء الله ناجى ربه فقال ((يا رب كيف الوصول إليك، فأوحى الله إليه: ألق نفسك وتعال إلي)),

[1] فصلت ٥٣

[2] شرح النهج ١٣ / ٤٤

والمراد بالإلقاء هو عدم التفاته إلى نفسه أصلا بأن يطرحها من الوجدان والالتفات إليها.

محو الموهوم وصحو المعلوم

وقوله عليه السلام في بيان الزيادة ((محو الموهوم وصحو المعلوم)) معناه أن كشف سبحات الجلال هو محو الموهوم لأن الإنية التي تلك السبحات والشئون أركانها التي تتقوم بها موهومة، بمعنى أنها ليست شيئا بنفسها وإنما هي شيء بأمر الله الفعلي أعني المشيئة، وبأمر الله المفعولي أعني الحقيقة المحمدية، وهو تأويل قوله تعالى ﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ﴾[1].

هتك الستر

وقوله عليه السلام ((هتك الستر وغلبة السر)) معناه أن كشف سبحات الجلال من غير إشارة هو هتك الستر الذي هو الحجاب الذي يستر العبد عن مشاهدة آيات الرب سبحانه، لأن السبحات تغطي قلوب العارفين عن رؤية أنوار التوحيد، فكشف السبحات هو هتك الأستار والحجب المانعة وعنده يغلب ظهور السر الذي هو معرفة نفسك بأنك أنموذج فهواني ووصف صمداني خاطبك الله به وبعبارة بك.

[1] الكهف ١٨

جذب الأحدية

وقوله عليه السلام ((جذب الأحدية لصفة التوحيد)) معناه كالذي قبله، يعني أن كشف سبحات الجلال من غير إشارة هو أن يجذب الجلال الذي هو الأحدية هنا سبحاته التي هي صفة التوحيد، بأن تمحوها من مراتب وجدانها بعدم الالتفات.

أشرق النور

وقوله ((نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره)) معناه أن تلك الحقيقة التي من عرفها فقد عرف ربه نور أشرق من صبح الأزل هو مشيئة الله وإرادته والله سبحانه هو الأزل، يعني أن تلك الحقيقة التي هي نفسك من ربك أعني وجودك وفؤادك نور صدر من فعل الله فخرج على هيئة الهادين الموحدين آثاره أي آثار ذلك النور المشرق وهو أنت فإنك آثار حقيقتك أي على صورتها.

تجلت الحقيقة

وقوله عليه السلام ((أطفئ السراج فقد طلع الصبح)) يعني به إذا أردت أن تعرف المعلوم فانف عنك السبحات الموهومة التي تحس بها ظاهرا أنك موجود كالسراج الذي تستضيء به في ليل الأجسام والطبيعة فقد طلع صبح الوجود فأطفئ عنك ما هو كالسراج إذا طلع الصبح فافهم.

واعلم أن هنا وجها آخر غير ما ذكر كله وهو سهل التناول على الأفهام ، وهو أنك إذا عرفت نفسك بأنك أثر عرفت المؤثر ، لأن معرفة الأثر تستلزم معرفة المؤثر فإذا نظرت إلى نفسك وعرفت أنك مصنوع عرفت أن لك صانعا ، وإذا نظرت إلى أنك أنت أنت لم تعرف بهذا أن لك صانع ، لأن إنيتك ظلمة والظلمة لا يبصر بها الناظر لأنها صفتك وصفة الشيء لا يعرف بها غيره بخلاف حقيقتك منه تعالى من فعله فإنها أثر والأثر يدل على المؤثر لأنه صفة استدلال على المؤثر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)) ، وفيما أشرنا إليه في بيان قوله عليه السلام ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) كفاية لأولي الألباب ، وصلى الله على محمد وآله الأطياب وإليه الإياب .